



لم تكن دعوة الإسلام للعرب خاصة ولم يجعلها ربنا سبحانه وتعالى حكراً على أمة من الناس دون غيرها، بل اقتضت حكمته جل وعلا أن تكون خاتمة الرسالات السماوية رسالة للناس كافة .
ولقد بلغ نبينا -صلى الله عليه وسلم- الرسالة والأمانة، ولم يألوا في ذلك جهداً، إذ لم يك الأمر يستقر بال المسلمين في المدينة وما حولها، ولم تلبث الدولة الناشئة أن غدت دولة قوية تضرب المعتدين وتجلّي ، من حولها الماكرين ، وتنشر لواء الدين ، و كانت الانتصارات تتواتي والفتح تترى.

وقد اتخذت الدعوة الربانية منحى جديداً فها هي بعض الرسائل تغدو خارج المدينة للملوك والأمراء والقياصرة والكساررة في إطار المبادرة النبوية للطاعة المطلقة لأمر الله {وما أرسلناك إلا كافية للناس} وقوله تعالى {بلغ ما أنزل إليك من ربك} .
وي neckline الحارث بن عمير حاملاً رسالة الهدى التي كلفه نبئه الحبيب -صلى الله عليه وسلم- بإيصالها إلى {شرحبيل بن عمرو الغساني} أحد أمراء قيصر على الشام ، وقد أخذت ذيل القيصر العزة بالإثم فقتل الحارث بن عمير ، استكباراً منه وصاددوا عن دين الله، ولم يلبث الأمر أن بلغ نبئي الله وصحابه وارتجمت المدينة بالخبر المستنكر ، ولم يلبث النبي -صلى الله عليه وسلم- أن أمر بالتجهز لغزو الشام في خطوة جريئة وواضحة وحازمة.

لم يكن السفر هين ، ولم تكن المهمة سهلة ولم تكن المفازة قريبة، ولكن القلوب التي اطمأنّت لربّها واستكانت لأمره، ووقفت حياتها على طاعة نبئها ، ووهبت روحها للشهادة ، لم تتردد في المسير ولم تجبن وهي تعلم قسوة الطريق وهوّل اللقاء .
ويقف الرسول -صلى الله عليه وسلم- خطيباً وهو يوّدع الجيش وفيه صفة أصحابه وأحبابه ، وقد أمرّ عليهم جبّه زيد بن حارثة ، ذلك الصحابي الذي رباه طفلاً وسمّاه زيد بن محمد ، حتى نزل تحرير التبّني ، {فيقول: إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة}.

ويصل الجيش أرض معان وقد دخل بوابة الشام ، ويصلهم خبر جيش قيصر، وفيه الروم ونصارى العرب، فيقيم جيش المسلمين في معان ليلتين يبحثون أمرهم ، ويشير بعضهم على الأمير أن يرسل للنبي بخبر عدوّهم وكثّرته ، وينتظرون منه المدد أو الأمر بالمضي للحرب ، وقام عبد الله بن رواحة خطيباً يشجّع الجنود على الجهاد قائلاً: يا قوم والله إن الذي تكرهون للذى خرجم له تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوّة ولا كثرة، إنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ،

فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينيين إما ظهور وإما شهادة.

وسار الجيش النبوى ، يحمل مشعل الهدى تحرسه السيف والأسود : والتقوى الجماع في أرض مؤته ، جيش لا يتعدى ثلاثة آلاف ، وجيش عرمم خلفه المدد والمحصون ولكن شتان مابين قلوب تحمل كتاب الله وتتمنى لقاءه وتقاتل على كلمة التوحيد ، وقلوب أركنت إلى الدنيا واعتصمت بقوتها وما تزد بزيفها إلا عن الباطل.

هناك في ثرى مؤته سطّر التاريخ أروع حكاياته البديعة ، زيد بن حارثة يقاتل عن راية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى تمرّق الرّماح ، فيلقى ربّ شهيدا ، ويرفع جعفر الزّاية عاقرا فرسه نازرا دمه لله ، طالبا الشهادة كصاحب ، فتقطع يمناه فيحمل الراية بيساره فتقطع ، ويختضن الشهيد الراية بعضيه ، ترثوي من دمه وتظلله بهالة الوفاء والفاء ويقتل دون راية الحق شهيدا.

ويحمل عبد الله بن رواحة الراية الراعفة بدم أميره وأخيه وابن عم رسول الله ، وهو يقول مترنما بشعره وهو الذي طالما أنسد الشعر الطاهر بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

يأنفس إلا تقتلني تموتي *** هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد لقيت *** إن تفعلي فعلهما هديت

وتقىم الأمير الثالث مقاتلا رافعا الراية حتى قتل ، فحمل المسلمين الراية لخالد بن الوليد فدافع الروم حتى دفعهم ثم انحر منسحبا دون هزيمة ، وكرّ منصرفا إلى المدينة وتصل أبناء المعركة إلى النبي الملهوف على جيشه وأصحابه، الحريص عليهم أكثر من أنفسهم، وينادي الصلاة جامعا ، ويلتف المسلمين حوله في مسجده فيقول: ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي؟

إنهم انطلقوا فلقو العدو، فأصيب زيد شهيدا فاستغفروا له ، فاستغفر له الناس ، ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب فشدّ على القوم حتى قتل شهيدا، أشهد له بالشهادة فاستغفروا له ، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة ، فأثبتت قدميه حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ، ولم يكن من الأمراء هو أمر نفسه ، ثم رفع رسول الله أصبهعه فقال: اللهم هو سيف من سيفك فانصره.

وعرف خالد بعدها بسف الله المسلول ، وهاهو يروي عن نفسه يوم مؤته فيقول: لقد انقطعت في يدي يوم مؤته تسعه أسياف ، مما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية.

لقد أدرك أصحاب محمد الأمين أنهم لا يقاتلون بالعدد والعدة ، ولا يرمون عدوهم بسهام مسنونة ، وإنما هم جند الله سلاحهم الذي حملوا أمانته وسيفه الكلمة الخالد {لا إله إلا الله} فاستمدوا البطولة من نبيهم والثبات من عقيدتهم والإقبال على الموت يرضى خالص من التصديق بوعد الله فلم ترعبهم كثرة العدو ولم يرهبهم عتاده المتبين ومضى شهداء مؤته تورق أرواحهم في مؤته .

وتنطلق غصون فتح ممتدّة لتكون جسرا مرّ عليه الفتح الإسلامي، لتنعم الشام ببركة العدل ودعوة رسول الله {اللهم بارك لنا في شامنا} اللهم عجل نصرك وفرجك لأهل الشام واجعل لهم من لدنك سلطانا نصيرا.

المصادر: